دراسات بعثة غرب شندي الآثارية بالضفة الغربية للنيل باقليم شندي(المتمة – قوز برة)

ندى بابكر محمد إبراهيم*

* جامعة شندي–كلية السياحة والآثار

مستخلص

تلقى هذه الورقة الضوء على اهم الدراسات الآثارية التى أجريت بالضفة الغربية للنيل،حيث بدات البعثة الدراسات الآثارية بالمسح الشامل والتسجيل والتوثيق للعديد من المواقع التى ترجع لمختلف الفترات الحضارية فى السودان بالاضافة لجمع الروايات الشفاهية وإجراء بعض الدراسات الإثنوآركيولوجية ،وبعض الحفريات ببعض المواقع المهمة،كما اهتمت البعثة بتوعية المجتمع المحلى واشراكه في عمليات الحماية والمحافظة على الآثار بالمنطقة.

Abstract

This paper sheds light on the most important archaeological studies conducted in the west Bank of the River Nile where the Mission began its work with comprehensive surveys, recording and documentation of some sites dating back to different cultural periods in Sudan. Collecting oral narratives and conducting some –ethno-archaeological studies were done. Excavations were also carried out in some important sites. The Mission raising the awareness of the local community in preserving and protection the antiquities in the region.

مقدمة:

تقع مدينة شندي في شمال السودان علي الضفة الشرقية للنيل، شمال شرق الخرطوم ,وحوالي ٤٥ كيلومترا جنوب غرب المدينة الملكية في مروي القديمة (البجراوية).

تعتبر شندي مركزاً للجعليين ولها تاريخ طويل باعتبارها مركزاً تجارياً مهما على مر التاريخ؛ كانت تمر بها أهم الطرق التجارية البرية. القرية التي تضاهي شندي على الضفة الغربية هي قرية المتمة. هنالك طريق تجاري قديم يعبر صحراء بيوضة يربط المتمه بمروي ونبتة الواقعتين شمال غرب شندي.

الدراسات السابقة :

تضم شندي مواقع أثرية ترجع إلى مختلف الفترات الحضارية في السودان على الضفة الشرقية للنيل والتي نالت اهتمام البعثات الأجنبية منذ مطلع القرن العشرين ومازالت تعمل بها موسمياً أما الضفة الغربية للنيل فلم تُحظ بدراسات كثيرة، فالدراسات الآثارية التي تمت بالضفة الغربية للنيل قليلة جداً تمت بواسطة "هنتزه، خضر عبد الكريم، إدوارد، وكروفورت". وقليل من الحفريات تمت بواسطة باتريس لينوبل في موقع الهوبجي جنوب المتمة في مارس ١٩٨٧م حوالي ٧٠كليومتراً إلى الأعلى من المدافن الملكية في مروي القديمة. بالإضافة إلى المسح الذي تم بالمنطقة لنيل درجة الدكتوراه بواسطة كاتبة الورقة.

منذ عام ٢٠١٤م بدأت جامعة شندي (قسم الآثار والمتاحف) الأبحاث الآثارية المنظمة لمنطقة المتمة والقرى شمالها حتى قرية قوز بُرَّه، بواسطة مشروع غرب شندي للعمل الأثري والذي يعمل تحت مظلة المشروع القطري السوداني للآثار.

المسح: بدأت البعثة أعمالها الآثارية بمسحٍ شاملٍ للمنطقة من المتمة إلى قوز بَرَّة شمال المتمة حيث شمل المسح ثمانية عشر قرية .

أنواع المواقع الأثرية التي سجلت:

١- اكتشاف وتسجيل أكثر من ثلاثمائة موقع أثري. تميزت أغلب المواقع التي سُجِلَت بإنعدام المباني الصروحية الضخمة وتتمثل أنواعها في الآتي:

أولاً: مواقع استيطان تعود لفترات العصور الحجرية، فترة حضارة مروي، الفترات الإسلامية وآثار فترة الإستعمار.

(صورة رقم ١) استيطان مروي، موقع الفخيخيرة١) بقوز بُرَّة (تصوير خالد حامد)



ثانياً : أعداد هائلة من المدافن ، شكل البناء العلوي في أغلبها دائري وأحيانا بيضاوي، في الغالب يغطيها الحصى الأحمر، وفي بعضها حجارة سوداء، تنقسم إلى مجموعات مختلفة الأحجام تفصلها أودية.

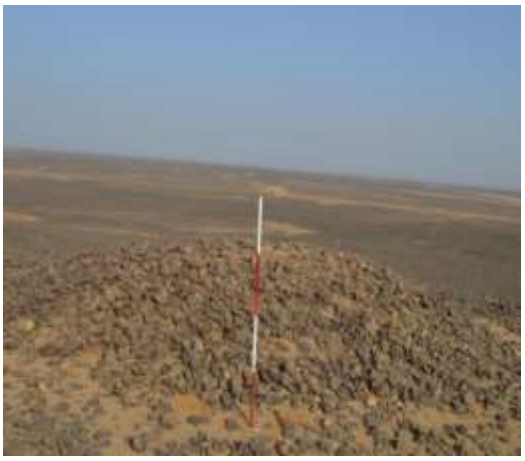
(صورة رقم ٢) العصر المروي، مدافن شمال قوز بُرَّة



(صورة رقم ٣) مدافن ابوطليح



صورة رقم (٤) مدافن أبيار السريح شمال المتمة



صورة رقم (٥) مدافن شمال الكمير



ثالثاً: القباب: قبة ود أبَّاروا بالسيال الصغير، تقع في الناحية الشرقية من السيال الصغير بالقرب من الكبري الذي يربط المتمة بشندي. في تلة مرتفعة من الرمال (قوز).

شكل القبة مخروطي مبنية من الطين اللَّبِن، تم بناء غرفة خارجية حديثة حول القبة بغرض الحفاظ عليها وبابها في شكل مخروط.

صورة رقم (٦) قبة ودأبَّاروا بالسيال الصغير بالمتمة قبل التحديث (تصوير: ندي بابكر)



رابعاً : أهم الخلاوى القديمة بالمتمة:

خلوة السيد الحسن بالمتمة تأسّست في الفترة التركية؛ أسسها السيد محمد الحسن أب جلابية (الطريقة الختمية) دَرَّس فيها القرآن بضع سنين.

صورة رقم (٧) خلوة السيد الحسن بالمتمة (تصوير: خالد حامد)



و من الخلاوي المهمة التي مازالت تعلم القرآن خلاوي الشيخ بدر بقرية قوز بدر.

صورة رقم (٨) الطلاب بخلوة الشيخ بدر (تصوير: خالد حامد)



خامساً: المساجد: كذلك يوجد بها عدد من المساجد القديمة التي أزيلت وبني في أماكنها مساجد حديثة. ومنها مسجد الحريراب القديم.

صور رقم (٩- ١٠(بقايا مسجد يزيد عمره على أربعمائة سنة بقرية الحريراب شمال المتمة (تصوير: ندى بابكر)





سادساً: آثار مصانع: (آثار فترة الإستعمار) يوجد بالمتمة وبعض القرى شمالها بعض الآثار التي تعود لفترات الاستعمار بالسودان مثال: مصبغتي الكَلَرْخانة بالمتمة والجبلاب وبيارة الجبلاب.

صوره رقم (١١) مصبغة الكلر خانة بالمتمة (تصوير خالد حامد)

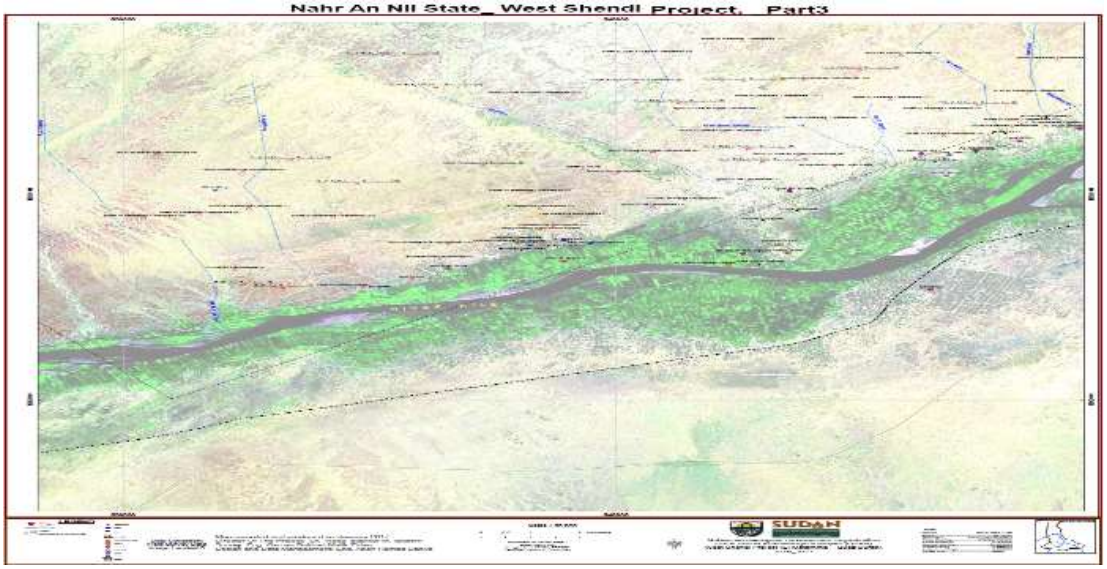


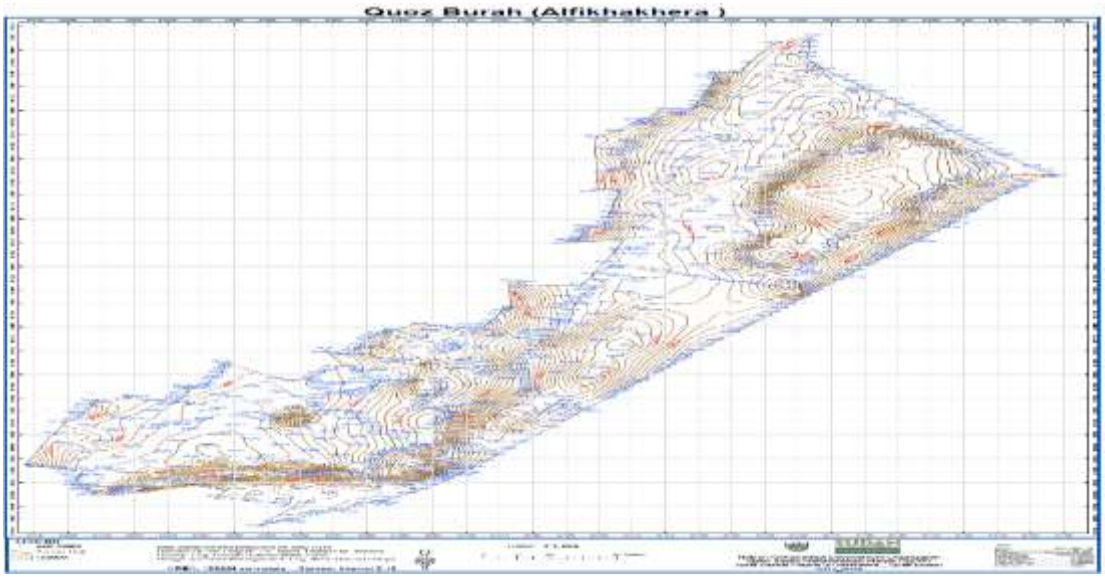
نماذج لبعض اللقى الاثرية التي جمعت خلال المسح:

صورة رقم (١٢ – ١٩)



عُمِلت خرائط للمواقع التي سُجِلت، كذلك عملت خرائط كنتورية وتخطيط لبعض المواقع





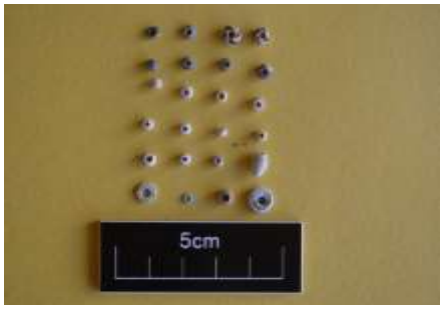
الحفريات:

بعد التخطيط وعمل الخرائط لموقع الفخيخيرة (١) الذي يقع شمال المتمة، بدأنا الحفريات في الكوم الذي يقع في الجزء الجنوبي الشرقي من الموقع إحداثياته: N :((E570960٠١٨٧٠٩٢٠ في المربع (AL) (٦A4) حُفِرت عشر طبقات كل طبقة عشرة سنتمترات (٥×٥متر) ظهرت خلالها هياكل وطرق دفن مختلفة وجرار وطاسات مروية وخرز وحلي .....إلخ.

نماذج لبعض اللُّقى الأثرية التي جمعت خلال الحفرية بموقع الفخيخيرة(١) بقوز بُرَّة







الحرف والصناعات التقليدية بالضفة الغربية للنيل:

صورة رقم (٢٠) صناعة الحديد بقوز بدر (تصوير خالد حامد)





صورة رقم (٢١) صناعة النسيج بالمغاوير (تصوير مصعب ميرغني)



صورة رقم (٢٢) صانع فخار بالكمير (تصوير: مصعب ميرغني)



صورة رقم (٢٣) جرة بداخلها آثار لصناعة القطران وجدت رأسا على عقب (تصوير: مصعب ميرغني)





التدريب: أسهم المشروع في تدريب أساتذة القِسْم كما تم تدريب عدد من خريجي قسم الآثار والمتاحف بجامعة شندي على تقنيات العمل الآثاري.

كذلك نظم المشروع العديد من الرحلات العلمية لطلاب الآثار والسياحة لربط الجانب النظري بالعملي من خلال الزيارات الميدانية.

فتح الباب أمام الطلاب للقيام بالدراسات الآثارية بالمنطقة لنيل الدرجات العلمية.

صورة رقم (٢٤)جانب من زيارات طلاب الآثار



صورة رقم (٢٥)جانب من زيارات طلاب السياحة



صورة رقم (٢٦)جانب من تدريب طلاب الآثار



صورة رقم (٢٧) جانب من تدريب طلاب السياحة(تصوير: مصعب ميرغني)



صور رقم (٢٨ – ٣١) المهددات التي تهدد المواقع الأثرية بالضفة الغربية:









الحماية:

قامت البعثة بالاهتمام بحماية المواقع الآثارية بعد تسجيلها، حيث اتبعت وسيلتين للحماية:
أولاً: تسوير بعض المواقع المهمة لحمايتها وتزويدها بلافتات تعريفية ومن ثم تهيئتها للسياحة.
.

صور رقم (٣٢) مراحل عمل تسوير للمواقع من أجل الحماية (تصوير: مصعب ميرغني)





صور رقم (٣٣) جانب من حماية موقع الفخيخيرة ١بقوز برة (تصوير: عثمان بخاري مالك)





صور رقم (٣٤) جانب من حماية موقع القنطرة بالجبلاب مصبغة)



صور رقم (٣٥) جانب من حماية موقع الكلرخانة بالجبلاب (تصوير: مصعب ميرغني)



ثانيا: الحماية بواسطة المجتمع المحلي: متمثلة في الآتي: مقابلة قيادات القرى وتنويرهم بالمواقع الأثرية وأهميتها، والذين قاموا بدورهم في تنوير مجتمعاتهم مما ساعدنا وخلق تجاوب مع المجتمع المحلي خلال محاضرات التوعية، كما استلمنا العديد من القطع الأثرية من أهالي المنطقة. كذلك استهدفت محاضرات التوعية الطلاب عبر محاضرات بالمدارس الثانوية حققت نجاحاً كبيراً وتجاوب من قبل الطلاب. وتعتبر مشاركة المجتمع المحلى ضمان حقيقي لتحقيق التنمية المنشودة في جميع المجالات وهو بالتالي أساس مهم لتحقيق أهداف أي عمل آثاري.

ففي مجال الآثار من أجل ضمان الحماية، تطور مفهوم جديد نسبياً وهو (علم الآثار المجتمعي).

والذي يعني التشاور والشراكة مع المجتمعات المحلية ويتوسع هذا المعنى ليشمل وضع وتصميم مجموعة من الإستراتيجيات التي تهدف إلى تسهيل إشراك السكان المحليين في كل ماله علاقة بالآثار والتراث. من ثم يجب تعريف المجتمع المحلى بمهام وأهداف بعثة العمل الآثاري.

صور رقم (٣٦ – ٤١) جانب من مقابلات المجتمع المحلي بالمنطقة .













صور رقم (٤٢ – ٤٣) جمع بعض الروايات التاريخية للمتمة من خلال المقابلات الشخصية:





صور رقم (٤٤ – ٤٦) مراحل بناء استراحة للمشروع بالتعاون مع المجتمع المحلي







خاتمة:

تتميز محلية المتمة بموقعها الإستراتيجي وكانت تمر بها أقدم الطرق التجارية، إضافة إلى أهميتها الزراعية والرعوية. إن أغلب المواقع الأثرية وجدت في القرى المواجهة للمواقع الآثارية بالضفة الشرقية للنيل وهذا يعني أو يدل على وجود مميزات بهذه المواقع كانت سبباً في اختيارها للسكنى، لوقوعها على النيل، وكما هو معروف أن الحضارات دائما تقوم على الأنهار.

تتميز الضفة الغربية بعدم وجود المباني الضخمة كالقصور والمعابد، تفسير عدم وجود مبانٍ صروحية ضخمة بالضفة الغربية للنيل مماثلة للمباني في الضفة الشرقية له، ربما كانت الضفة الغربية تسكنها الطبقة العاملة التي تعمل بالزراعة والرعي وتمد الطبقة الحاكمة في الضفة الشرقية بالمنتجات الزراعية والرعوية.

يؤكد وجود عدد كبير من المدافن بعيداً عن النيل أهمية الرعي في النشاط الاقتصادي في الضفة الغربية للنيل.

يؤكد انتشار القباب والخلاوي والأضرحة، بالمتمة والجوير وطيبة الخواض والجبلاب وقوز بدر وقوز بُرَّة الأهمية الدينية لمنطقة غرب شندي.

لعبت الضفة الغربية دوراً مهماً في صناعة المنسوجات المحلية التي اشتهر بها إقليم شندي، والتي لازالت تمارس في الضفة الغربية "المتمة والجَبَلابْ" إلى يوم الناس هذا حيث كانت في الماضي من الحرف المهمة التي يمتهنها السكان، والدليل على ذلك بقايا مصانع الأصباغ للمنسوجات في المتمة والجبلاب

قائمة المراجع

- Barbour, K. M. 1961. The Republic of the Sudan, A Regional Geography. London.
- Nada Babiker Mohammed ,2013.Archaeological Survey in El-Metemma area.Sudan and Nubia.Bulletin17(PP137-141).
- Whiteman, A. J, 1971. The Geology of the Sudan Republic.Oxford.

رسائل غير منشورة:

ندى بابكر محمد إبراهيم ٢٠١١م المسح الآثاري للضفة الغربية للنيل في إقليم شندي (بين المتمة وبقروسي) رسالة دكتوراه غير منشورة. جامعة الخرطوم.

المقابلات الشخصية :

- شمس الدين محمد سعد، مزارع، ٥٢ سنة، الحرِيراب، ٢٠٠٩م
- عثمان حامد، أستاذ، ٥٣ سنة، المتمة، ٢٠٠٩م
- محمد سليمان ود فليل، مزارع، ٧٠ سنة، المتمة ٢٠٠٩م